المجمع 5 (2011/1432)، 75-104

اللّغة المجازية في نصوص مجاهدة النفس
أشكال توظيفها وقيمتها الفنية والمعنوية

عصام الخطيب

تلخيص:

يبحث هذا المقال في توظيف البيان البلاغي (التشبيهات، الاستعارات، والكنايات) المستوحاة من مجالات الموت في نصوص "مجاهدة النّفس" التقشفيّة - الزهدّية، أو ما كنى عنها الرسول الكريم بِـ"الجهاد الأكبر" مقابلا إيّاها بِـ"الجهاد الأصغر"، أي: الحرب ضدّ الكفار، تلك الفريضة الدينيّة التي شُرّعت لمحق الظلم ونشر العدل على وجه البسيطة، مكاتفة مع "الجهاد الأكبر" الموضوع لكسر شهوات النّفس وتزكيتها وصفائها، حثّا لها على متابعة رحلتها إلى الحقّ والحقيقة على هدي الشّريعة.

مقدّمة

قال النبيُّ محمد صلى الله عليه وسَلّم: "أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه"[1]،

وقال أيضًا: "المجاهد من جاهد نفسه في الله"[2]،

وقال أيضًا: "أفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله عزّ وجلّ"[3].

فقد شرع الله تعالى الجهاد منذ فجر البعثة الإسلامية، أي قبل هجرة الرسول من مكّة إلى المدينة، أي قبل أن يشرع الله الجهاد القتالي الذي يعني نشر الإسلام بالسيف، وقد دعت السور المكيّة إلى الصبر على العدوان، أما السور المدنية فقضت صراحة بفرض الجهاد على المسلمين ومحاربة أهل مكة، أعدائهم، والكفّار حتى يدخلوا في دين الإسلام فرض كفاية[4].

---

[1] انظر: أحمد آل عبد اللطيف، **جامع أحاديث الألباني**، 195.

[2] ن.م.، 194.

[3] ن.م. ، 194.

[4] **دائرة المعارف الإسلامية**، الجهاد، 2778 – 2779.

ومع ذلك فإنَّ الأمر بالجهاد كان ينزل بين الحين والآخر على المسلمين من خلال الوحي الربَّاني في السور المكيّة، مثل قوله تعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا"[1]. وقوله عزّ من قائل، أيضًا: "وجاهدوا في الله حق جهاده"[2]، مع أن الجهاد القتالي لم يكن مشروعًا بعد، كما أسلفنا، فالمراد هو الجهاد المطلق، إذ أن الجهاد معناه في اللغة: "الجهد يوجَّه إلى غرض معين، والمجاهدة أو الجهاد أيضًا هو جهد يوجَّه إلى نفس المرء لبلوغ الكمال الخلقي أو الديني"[3]. فثمة "جهاد أكبر" وهو الجهاد الروحي و"جهاد أصغر" وهو الجهاد المادي، والجهاد الروحي هذا "فرض عين"[4] وليس "فرض كفاية" ويعني لفظ الجهاد في اللغة، أيضًا: بذل كل ما في الوسع من طاقة ومشقة، والإخلاص الكامل في أداء الواجب الديني سواء كان ذلك في النية أو العمل؛ فهو إلى المفهوم أقرب منه إلى اللفظ[5].

ولقد ميَّز كبار أئمّة الصوفية ومشايخها الأجلاء، ومن بينهم عبد القادر الجيلاني، بين نوعين من الجهاد: جهاد الظاهر وهو جهاد الكفَّار المخالفين والمعاندين لله تعالى ولرسوله، بالقتال والحروب، وجهاد الباطن وهو جهاد النفس والهوى والطبع والشيطان[6]، والتوبة عن الزلاّت والثبات عليها وترك الشهوات والمحرَّمات.

[1] سورة العنكبوت، الآية 69.

[2] سورة الحج، الآية 78.

[3] **دائرة المعارف الإسلامية**، جهاد، 2780.

[4] ياسين حسين الويسي، **ابن خلدون ونظرته في التصوُّف**، 99.

[5] ظافر القاسمي، **الجهاد في الإسلام**، 11-13.

[6] فقد قال تعالى في كتابه العزيز: (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم) (البقرة، 54). وورد في الحديث النبوي الشريف: "أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك"، نعوذ بالله من شرور أنفسنا (النسائي، الجمعة 241).

والجهاد الباطن أصعب لأَنَّ قطع علائق النفس ومألوفاتها ودفعها إلى اجتناب النّواهي والامتثال بالأوامر، أشدّ وقعًا وألمًا من جراح السيف التي تثخن أجساد المحاربين والمجاهدين ضد الكفّار[1].

فلا بد من خوض حرب ارتدادية نحو الذات لقتل ذلك العدوّ الشيطاني، الذي يسكنها ويتملكها وتلك هي فكرة "المجاهدة" في التصوُّف، مجاهدة تبدأ بإعلان التوبة، فقد اعتبر الصوفيون "مقام التوبة" الأرضية والأساس الذي تبنى عليه سائر المقامات الصوفية.

ولعلّ هذا ما يؤكّد فرضية الشعور بالذنب من داخل الممارسة الصوفيّة، كممارسة تنشد التخلي نهائيا عن كل وسائط الارتباط والانشغال بالدنيوى ومحاولة السمو نحو الأعلى بالروح، عبر القتل الرمزي للجسد من خلال رحلة سفر أو سياحة انعزالية إلى الله، تتخللها عدّة محطات (مقامات وأحوال) آخرها (مقام المشاهدة) حيث يتولى الله عبده الولي الصالح ويكشف له سر ملكوته.

فما التصوّف بمفهومه الفكري هذا وبممارسته العملية ومسلكه الروحيّ الآنف الذكر، إلّا أيمان راسخ في الحب الإلهي والفناء به نتيجة قمع النفس ومنعها من الانغماس في الملذات الجسمانية وتطهيرها وتزكيتها، وليس وجهة نظر فلسفية او علمية او هوسًا دينيًا أو هروبًا من مسؤوليات الحياة الاجتماعية والاقتصادية، كما أنّ هذا لا يعني اطلاقًا أن الصوفيين كانوا ضد المجاهدة، بمعنى : قتال الكفّار بالسيف، بل على العكس من ذلك، فقد أقام الصوفيون الرُّبط أو الرّباطات في شمال إفريقيا، والتي سميّت فيما بعد في الشرق الزوايا والخوانق والتكيّات الصوفية. والرباطات مشتقّة من رباط الخيل التي وردت في الآية الكريمة: "وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم." (سورة الأنفال، الآية 60).

ويُقال: رابط الجيش في الثغر، أي: أقام فيه للحماية والمدافعة".

[1] انظر: عبد القادر الجيلاني، **الفتح الربَّاني والفيض الروحاني**. ص. 84. انظر، أيضًا: **دائرة المعارف الإسلامية**، جهاد، 2780.

فالرُّبط في شمال أفريقيا كانت حصونًا للدفاع عن الدولة في وقت الاضطراب والقلاقل والحروبات[1].

وقد نشأ التصوُّف الإسلامي واستمر وتطور إلى وقت قريب مجاهدًا مرابطا، فالرّباطات أو الرّبط هي قلاع حربيَّة حصينة، كانت في أصلها وتطورها خانقا هات للصوفيين المرابطين فيها للجهاد ضد أعداء المسلمين : كرباط عبادان، الذي تجمّع فيه المتطوِّعون من البصرة للدفاع عنها، وفيه رابط عدد كبير من مشايخ الصوفيّة، مثل: مقاتل بن سليمان (ت. 158هـ) وحمّاد بن سلمة (ت. 167هـ) وبشر الحافي[2]. ثمّ أصبحت هذه الرباطات أو الزوايا والخوانق والتكيّات في القرن الخامس الهجري، ملتقى للصوفيّة يجتمعون فيها للعبادة وتلقين علوم الدين للمريدين والتلاميذ[3]. كما وعرف عن الإمام إبراهيم بن أدهم البلخي الخُراساني المتميز بنظريته الخاصة بأساليب المتصوّفة في مجاهدة النفس، انه اشترك مرارًا في غزوات المسلمين ضد البيزنطيين، فلم يأخذ سهمًا ولا نفلًا وكان لا يأكل من متاع الروم بل سافر إلى الشام وكان يأكل من عمل يديه[4].

لقد نهجت في هذا البحث نهجًا تحليليًا استقرائيا للنصوص الزّهدية والصّوفيّة خاصة من كتاب "طبقات الصوفيّة" لأبي عبد الرحمن السّلمي، وكتاب "حلية الأولياء" لأبي نعيم الأصفهاني وكتاب "تهذيب الأسرار" للخركوشي وغيرها، جريًا وراء التشبيهات والاستعارات والكنايات (أي التعابير المجازية – البيانية) المستمدة من عالم الحروبات والتي تتجاوز الواقع إلى تخيُّل النفس وكأنَّها عدوّ بغيض تجب مجاهدته وقهره، كما يُجاهد الكافر، حتى تستكين لطاعة الله وتأنف شهواتها وشوائبها وأهواءها.

[1] انظر: أسعد السحمراني، **التصوّف**، 161– 162.

[2] عبد الرحمن بدوي، **تاريخ التصوّف الإسلامي**، 26.

[3] نقولا زيادة، **دمشق في عهد المماليك**، 126–127.

[4] سليمان سليم علم الدين، **التصوّف الإسلامي**، ص. 286؛ انظر أيضًا: أبو بكر القادري، **الشيخ عبد القادر الجيلاني**، 260–262. (الطريقة القادرية ودورها في نشر الإسلام ومحاربة الاستعمار).

وحاولت من خلال هذا البحث التعرف على الأهداف والدوافع الروحانيّة والنفسيّة، وكذلك الخصائص الفنيّة والأسلوبيّة من توظيف تلك التعابير المجازية – البيانيّة، إلى جانب الوقوف على دلالاتها وتداعياتها المعنويّة ومضامينها العاطفيّة على ضوء التجربة الصوفيّة الروحانية – الوجدانية. كما وأبرزت القيم الدينية والخلقية والروحانية التي تتضمنها تلك النصوص، وبحثت في مفهوم النفس البشرية وجبلّاتها وعلاقتها بقلب العبد وانشراحه على الخالق، والأصول والأسس التي يتوجب على المرء اعتمادها لقهر نفسه، والتغلب عليها ومن ثم الظفر العظيم بالمشاهدة، "فالمجاهدة بذر المشاهدة"، كما يفيد عبد القادر الجيلاني[1].

أما مراجع البحث فهي **الآيات والأحاديث والنصوص الجهادية الزهدية والصوفية، التي أوردتها مستقرئًا سطورها**، ومستجليًا بيانها ومعانيها، وقد استعنت في كل ذلك بالله أولًا، وبشروحات وتفاسير القرآن الكريم والأحاديث النبويّة الشريفة ومعاجم المصطلحات الصوفيّة وموسوعاتها، ومؤلفات الصوفيين والزهاد وتراجمهم ثانيا .

****

1- قال سهل: "اعلموا أنَّ هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلاّ بذبح نفسه بالجوع والصبر والجهد، لفساد ما عليه أهل الزمان"[2].

وقال الأمام سهل: "للنفس سبع حجب سماوية وسبع حجب أرضية، فكلما يدفن العبد نفسه أرضًا سما قلبه سماءً، فإذا دفنت النفس تحت الثرى وصل القلب إلى العرش، وقال: من عرف نفسه فقد عرف ربه وفسّر ذلك: "من عرف نفسه لربه عرف ربه لنفسه"[3].

وسهل هذا هو أبو محمد سهل بن عبد الله التستري من "أئمة الصوفيَّة وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضات والإخلاص وعيوب الأفعال"[4]، قد توفي سنة 283 هجرية.

[1] انظر: عبد القادر الجيلاني، **الديوان** - مقالة الغوثية، 226.

[2] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلَمي، **طبقات الصوفيّة**، 169؛ أبو نعيم الأصفهاني، **حلية الأولياء**، 201/10.

[3] أبو نعيم الأصفهاني، **حلية الأولياء**، 208/10.

[4] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلَمي، **طبقات الصوفيّة**، 166.

لقد كنى التستري باستعارته للفعل "ذبح" عن المشبّه به المحذوف وهو العدُوّ؛ فشخّص النفس على هيئة عدوّ متوَحّش رهيب، لا بدّ من ردعه ودحره بأسلحة الجوع والصبر والجهد حتى يخضع لطاعة الله تعالى ويمتثل بأوامره. وإذا ما تمَّ الظفر على هذا العدوّ صفا القلب وزكو وأزيل الحجاب الذي يحول دون الارتقاء إلى منازل القربة.

ولقد جَسَّد التستري معناه باعتماده ضربًا من ضروب المجاز اللغوي وهو الاستعارة المكنيّة المستوحاة من ساحات الوغى حيث يذبح الأعداء؛ فأبان عن دخيلته وأثار عاطفة وانفعال السالك المريد وأيقظ وجدانه، علّه ينجو بنفسه من فساد ما عليه أهل زمانه؛ فيهديه الله سبل الفوز والنجاة.

2- أخبرنا عبد الجبَّار بن سيرياز قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: "أصل الدنيا الجهل وفرعها الأكل والشرب واللباس والطيب والنساء والمال والتفاخر والتكاثر، وثمرتها المعاصي، وعقوبة المعاصي الإصرار، وثمرة الإصرار الغفلة وثمرة الغفلة الاجتراء على الله وقال: أيمّا عبد لا يتورع ولم يستعمل الورع في عمله انتشرت جوارحه في المعاصي، وصار قلبه بيد الشيطان وملكه، فإذا عمل بالعلم دله على الورع، فإذا تورّع صار القلب مع الله، وقال: العلم دليل والعقل ناصح والنفس بينهما أسير، والدنيا مدبرة والآخرة مقبلة، والعدوُّ في ذلك منهزم فيصير العبدُ عبدًا خالصًا. وإنّما سُمُّوا ملوكًا لأنَّهم ملكوا أنفُسَهم وقهروها، واقتدروا عليها فغلبوها: وظفروا بها فأسروها.

فالعارفون مالكون لأنفسهم مستظهرون عليها، والغافلون قد ملكتهم أنفسهم واستظهرت عليهم بتلوين أهوائها وبلوغ محابها ومناها في الأقوال والأحوال وسائر الأفعال ولا يفلت من أسر نفسه وخدعتها وسلطانها وغلبة هواها إلاّ من عرف نفسه، فإذا عرف نفسه على حقيقة معرفتها عرف باريه جلّ جلاله، فإذا عرف نفسه ألزمته معرفتها شريطة العبودية بحقّ الربوبيَّة، وإعطاء الوحدانيّة حقَّها"[1].

[1] انظر: أبو نعيم الأصفهاني، **حلية الأولياء**، 205/10.

يُفهم مما سبق أنَّ على العبد أن يعمل بعلمه الذي يدله على الورع وأن يتَّخذ عقله ناصحًا له في عمله هذا – عندئذ تؤسر النفس العدوة بينهما وتهزم فيصير العبد خالصًا، أي صافي النفس: "فالصوفيُّ من صفا قلبه لله"[1].

والملوك هم من ملكوا النفس وقهروها واقتدروا عليها وغلبوها وظفروا بها.

والعارف هو من يملك نفسه، أمّا الغافل فهو من تملكه نفسه بخداعها وتلونها، لذا لا بدّ للمرء العالم من العمل بعلمه، فإذا عمل به دلّه على الورع فيصبح القلب الورع مع الله تعالى، ويصبح العالم عارفًا، فالعارف هو من يعرف وحدانيّة ربّه بكامل صفاته التي لا سبيل إليها فيتقرّب منه، وهو الذي يكون سرّه مع الله تعالى بمعنى واحد[2]، "ويكون في جميع أحواله بالله ولله مأخوذًا عمّا سوى الله"[3].

في هذا النص يعمد التسترى إلى المجاز اللغوي (الاستعارة المكنية)، ليجسد من خلالها نفس الغافل وقد احتلت وامتلكت صاحبها بدهائها وخداعها وغلبة هواها، أما العارف الذي يعرف حقيقة نفسه فهو الذي يستظهر عليها ويمتلكها ويستطيع أن يفلت من أسرها بعد أن يقهرها ويتغلب على هواها. وهذه الصفات من شأنها أن تعكس صورة مهولة تشخّص من خلالها النفس البشرية وقد تمترست بالغدر والخيانة ومحاباة الشهوات والرذائل، فتأسر الغافل، أمّا العارف فبإمكانه أن يهزم نفسه بالعمل بعلمه وعقله، فإذا هزمها بهما تصفو نفس العبد وتخلص من الشوائب والمناهي فيزكو قلبه. فالعالم هو من يعمل بعلمه متورعًا ليصفو قلبه، ويشرح الله صدره بنور فيضه الربَّاني فيمسي عارفًا، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "العلم علمان: علم في القلب، فذاك العلم النافع وعلم في اللسان فذاك حجّة الله تعالى على ابن آدم"[4].

---

[1] انظر: أبو بكر الكلاباذي، **التعرّف لمذهب أهل التصَوُّف**، 21، 63–67.

[2] انظر: أبو نصر الطوسي، **اللّمع**، 56–57.

[3] ن. م.، 62.

[4] انظر: الحكيم الترمذي، **كتاب بيان الشريعة والحقيقة**، 399.

وانظر: الحكيم الترمذي، **الأمثال**، 212–213.

فالعلم النافع هو ما يُصدّقه العمل، وعلم الحجَّة هو الذي ينخنق صاحبه في البرزخ (الوقت ما بعد الموت وحتى البعث) وهو علم الظالم لنفسه؛ "فلا بدَّ أن يعمل العالم بعلمه ويتورع في عمله، فإذا أُعطى القلب حياة العلم بالله عرف ربّه وعلمه"[1].

والله يحيي القلوب بالطاعات والمجاهدة في ذات الله؛ فالمجاهد لنفسه منعًا لها من الجموح إلى الشهوات والمناهي يزيده الله حياة، ويقطع قلبه عن العلائق وهوى النفس فيبلغ اليقين، ويصبح من المقربين الذين يحيون بالله ويعاينون قدرته وآثار ربوبيته، فأحبّ القلوب إلى الله أصفاها وأرقّها وأصلبها[2].

أمّا الورع فيعني الابتعاد عن كل ما يريب الإنسان، وهو الحلال الصافي الذي لا ينسى الله فيه ولا يعصى فيه، وهو أن لا يتشتت القلب عن الله عزّ وجل طرفة عين[3].

لقد اصطلح الصوفيون على ألفاظ تخصّ معتقداتهم ومذهبهم، وانفردوا في استعمالها عن سواهم[4]، وهذه الألفاظ ذات طابع ذوقي عاطفي لا يفهمها إلا مَن يقوم مقاماتهم. وكان حرصهم في عدم كشف أفكارهم للغير سببًا ألجأهم إلى اللغة المجازية والرمزية من ناحية، ومن الناحية الأخرى فإن المجاز اللغوي بما فيه من تجسيم للأفكار الذهنية وخيال مبدع وعاطفة صوفية صادقة مخلصة خير وسيلة توصل لطائف وإشارات التجربة الصوفية النفسية المعقدّة إلى المتلقي[5]. ومن ضروب البيان الصوفي تشبيه المعنوي بالحسي سواء أكان مفردًا أو مركبًا أو تمثيلًا، وهو بهذا يقرّب المعنى ويوضحه كي يسرع إلى قلب المريد[6]، كما

[1] انظر: الحكيم الترمذي، **الأمثال**، 213–214؛ أبو عبد الرحمن السلمي، **كتاب بيان الشريعة والحقيقة**، 400–404.

[2] انظر: الحكيم الترمذي، **الأمثال**، 214–216.

[3] انظر: أبو نصر الطوسي، **اللّمع**، 70–71.

[4] انظر: أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية**، 229/1؛ أبو نصر الطوسي، **اللّمع**، 107.

[5] انظر: مهدي السامرائي، **المجاز في البلاغة**، 234؛ محمد. أبو موسى، **التصوير البياني**، 795؛ عبد الكريم الباقي، **دراسات فنية في الأدب العربي**، 268.

[6] انظر: أحمد مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية**، 170/2.

ويلجأون إلى الاستعارة وخاصة المكنيّة منها، أي التي يحذف منها المشبّه به ويكنى عنه بقرينه من لوازمه تدل عليه، والتي تضفي طبيعة جديدة على الشيء من خلال استعارة صفات جديدة له من غيره[1]، كما وعمدوا إلى الكناية لما فيها من إخفاء للمعنى الباطن المراد تحت المعنى الظاهر للعبارة، وفي هذا من لطف الإشارة وبعث للخيال وتجسيم للمعنى وإثارة للعواطف من خلال الصورة المتولدة عنها[2].

3- وقال الحارث بن أسد: "العلم يورث المخافة والزهد يورث الراحة والمعرفة تورث الإنابة، وخيار هذه الأمَّة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم ولا دنياهم عن آخرتهم، ومن صحَّح باطنه بالمراقبة والإخلاص زيَّن الله ظاهره بالمجاهدة واتّباع السُّنَّة، ومن اجتهد في باطنه ورثه الله حسن معاملة ظاهره، ومن حسن معاملته في ظاهره مع جهد باطنه ورثه الله تعالى الهداية إليه، لقوله عزَّ وجلّ: "والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سبلنا" العنكبوت، 69" [3].

الحارث المحاسبي من الزهاد الملمين بعلوم الظاهر والمعاملات والإشارات، عرف بورعه ودقة محاسبته لنفسه وموازنته بين الدين والدنيا، توفي سنة 243هـ[4].

المجاهدة الحقيقية تنصر المرء وتحرره من أغلال الشهوة وتقطعه عن الهوى، فإذا قطعه هداه الله طريقه لأنّه لم يبق على قلبه حجابًا للشهوة والهوى، فحينئذ يمكنه السكون إلى الله ويطمئن القلب، وقد قال الرسول الكريم "مالنا ألاّ نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا"[5].

ويلفت الحكيم الترمذي نظرنا إلى قوله تعالى: "إنمَّا حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحقّ" (الأعراف، 33)؛ فقد منعت النفس من هذه الفواحش

---

[1] **ن. م.**، 146/1.

[2] ن. م.، 145/3؛ شفيع السيد، **التعبير البياني**، 132-133.

[3] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلمي، **طبقات الصوفية**، 60؛ أبو نعيم الأصفهاني، **حلية الأولياء**، 88/10.

[4] انظر: أبو عبد الرحمن السلمي، **طبقات الصوفية**، 58.

[5] انظر: الحكيم الترمذي، كتاب أدب النفس (ضمن **كتاب الرياضة وأدب النفس**)، 151.

والآثام حتى لا يفسد القلب ولما رأيت انحرافها وسوء أدبها أدّبتها وأذللتها "ورآني ربي مجاهدًا في ذاته حق جهاده هداني سبيله كما وعد تعالى:"والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وان الله لمع المحسنين" ونصرني لإحساني وقذف نور الهداية في قلبي فأبصر به عيوب الدنيا وآفاتها من البغي والرياء والسمعة والمباهاة والحسد والفخر والخيلاء، أمنع نفسي عنها غير طالب إلا وجه الله[1].

4- وسُئل سفيان الثوري عن الشهوة الخفيّة، فقال: "أنْ تأتي البرّ بالشهوة، وقال من أعطى بدنه مناه، فقد أعطى عدوه مناه"[2].

وسُئل رويم عن الغازي، "فقال: الذي غزا عقله هواه"[3].

وسُئل الجنيد: "كيف الطريق إلى الله عزّ وجل؟ فقال: اترك الدنيا وقد نلت، خالف هواك وقد وصلت"[4].

وقال أبو محمد الجريري: "محاربة العارفين مع الخطرات، ومحاربة الأبدال مع الفكرات ومحاربة الزهّاد مع الشهوات ومحاربة التوّابين مع الزلاّت ومحاربة المريدين مع المنى واللذات"[5].

يعمد الفقيه الصوفي سفيان الثوري إلى لطف الإشارة والتلميح بالكناية عن الموصوف فيثير عواطف مستمعيه ويدفعهم لمقت بدنهم وشهواته كما يمقتون عدوهم، ويستفزّ خيالهم لاستيحاء الصورة المجسمة للمعنى الذي يريد إيصاله لمريديه؛ فهو يشبه من يحابي جسده بمن يحابي عدوّه ويجاريه فيما يبغي وهذا هو الضعيف، الغافل والخائر. أمَّا رويم بن أحمد بن يزيد من مشايخ الصوفية من القرن الثاني الهجري فيفيد بأنَّ الغازي، أي:

[1] انظر: **ن. م**، 124–126.

[2] عبد الملك الخركوشي، **تهذيب الأسرار**، 177.

[3] **ن. م.**، 176.

[4] **ن. م.**، 176.

[5] عبد الملك الخركوشي، **تهذيب الأسرار**، 176.

المجاهد الحقيقي لنفسه هو من يجنِّد عقله لقهر نفسه وشهواتها وامتلاكهما، وهو هنا أيضًا يعمد إلى نوع آخر من البيان، مُدللًا على قدرة البيان الصوفي على تجسيد المعاني (الاستعارة المكنية) وتقريبها إلى الأفهام وهو: أن العاقل أو العامل بعلمه لا يرضى بغلبة نفسه بل هو القاهر لها. ولك أن تتخيل وتنفعل بهذه الواقعة بين العقل والهوى فتتحمس لمجاهدة نفسك.

ويبدع الجنيد بن محمد من خلال توظيفه للكناية؛ فترك الدنيا، أي: الترفُّع عن شهوات النفس وشوائبها ومخالفة الهوى وهي كناية عن عدم محاباة النفس وعدم الانقياد إلى لذائذها ورغباتها الفاتنة، هما طريق الوصول إلى الباري ونيل القرب منه. كما وانّ استعارته للفعل "خالف" المسند إلى الهوى، ما هو إلاّ ليكني به عن المشبّه به المحذوف للنفس وهو العدوّ أو الشيطان الذي تجب مخالفته.

ولم يحرم الله الجريري صاحب الجنيد ما أسبغه من نعمة البيان والمعرفة على صاحبه الأكبر، ويبدو ذلك من خلال الاستعارات المكنيّة التي يكرر فيها لفظه "محاربة" مضافة إلى العارفين حتى المريدين، فهؤلاء الصوفيون والمتصوفون مطالبون بالجهاد الأكبر ضدّ العدوّ الأكبر وهو النفس أولًا ثم ضد الخطرات والفكرات المشوّهة التي تداخلهم بعد أن تصفو قلوبهم ويصلوا إلى مقام المشاهدة.

أمّا تقوى الباطن فهي الهرب من الإسراف والمبالغة في الأخذ من الدنيا ولذاتها التي تفرح النفس وتدنّسها، فتغمّ القلب وتحجبه عن نور الخالق الهادي، وأمّا تقوى الظاهر فهو حفظ الجوارح مع الخلق والملائكة[1].

[1] انظر: الحكيم الترمذي، **كتاب الرياضة وأدب النفس**، 48–54، 74.

التقوى: ترك ما دون الله وأصلها مُجانبة النهي ومباينة النفس وبها يدرك اليقين، الكلاباذى، **التعرف لمذهب أهل التصوّف**، 98-99.

ممّا تقدَّم نستدلّ على أنَّ المجاهدة هي السبيل الأوحد لأنوار المشاهدة، ويتأكد ذلك من خلال الآية الكريمة: "والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبلنا"[1].

وقد عمد أئمة التفسير وعلماؤه إلى شرح وتوضيح المعاني السامية في هذه الآية، فأشار القرطبي إلى أنّه الجهاد ضد الكفار وهو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته لنزول الآية قبل فرض القتال وأضاف أنها نزلت في الذين يعملون بما يعلمون فيجازيهم الله بتعليمهم ما لم يعلموا، وليس الجهاد في هذه الآية هو قتال الكفّار فحسب، بل هو مجاهدة النفس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر الذي يحُسن فيه المؤمن عمله فيهديه الله تعالى (سبُلَه) أي طريق الجنَّة وينصره على أعدائه، فإنّ الله مع المحسنين[2] ويميل ابن كثير أيضًا إلى تأويل "الذين جاهدوا فينا"، أي: الذين يعملون بما يعلمون أولئك الذين يريهم الله طرقه في الدنيا والآخرة والله يهدي من يشاء، ومن يهده الله فلن يضلّ أبدًا، وأولئك هم الرسول وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين[3].

ويؤوِّل القشيري في "لطائف الإشارات" قوله جل ذكره:"وجاهدوا في الله حق جهاده"[4]، فيرى أن المجاهدة على أقسام: مجاهدة بالنفس ومجاهدة بالقلب ومجاهدة بالمال، فالمجاهدة بالنفس: بذل كل ميسور في الطاعة بتحمل المشاق دون طلب الرخص في ذلك ودون الفترة في المجاهدة ولو للحظة، والمجاهدة بالقلب صرفه عن الخواطر الرديئة مثل: الغفلة والعزم على المخالفات، والمجاهدة بالمال: بالبذل والسخاء ثم بالجود والإيثار[5].

---

[1] انظر: سورة العنكبوت، آية 69، وكذلك نفس السورة الآية 6: "من جاهد فإنمّا يجاهد لنفسه" وانظر أيضًا الآية: "جاهدوا في الله حق جهاده". (سورة الحج، الآية 78). وانظر كذلك: أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيريّة**، 48–50.

[2] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القران**، ج. 13، 336–337.

[3] ابن كثير، **تفسير القران العظيم**، ج. 3، 421–422.

[4] سورة الحج، الآية: 78.

[5] أبو القاسم، القشيري، **لطائف الإشارات**، ج. 2، 333.

كما ويفسّر الآية: "والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا، وإنَّ الله مع المحسنين"[1]. بقوله: "الجهاد فيه: أولًا بترك المحرّمات ثم بترك الشبهات وثم بترك الفضلات، ثم بقطع العلاقات والتنقي من الشواغل في جميع الأوقات، ويقال بحفظ الحواس لله، وبعدّ الأنفاس مع الله"[2].

ومن يزيّن ظاهره بالمجاهدات يحسّن الله سرائره بالمشاهدات، فجزاء الشقاء والتعب في الطاعة والعبادات اللطائف والطرب من حيث الاتصال بالخالق[3].

أمّا الطبري فيعتبر الجهاد قتالًا للكفَّار والمشركين الذين افتروا على الله كذبًا وكذَّبوا الحق، فمن يفعل ذلك يوفقه الله للسير على الصراط المستقيم[4].

أما تفسير الجلالين للآية 69 من سورة العنكبوت، فقد جاء مقتضبا غير محدد لمعنى الجهاد ولا مقيد له: "الذين جاهدوا في حقنا لنهدينهم طريق السير إلينا، وإن الله لمع المؤمنين بالنصر والعون"[5] ومقابل ذلك يلجأ المفسران إلى تفسير معنى الجهاد في الآية 78 من سورة الحج (وجاهدوا في الله حقّ جهاده ...)، أي: "ابذلوا أقصى ما أعطيتم من قوة وعزم لإقامة دين الله وطاعته في تنفيذ أوامره وفرائضه، وليس في ذلك ضيق أو شدة؛ فقد يسّر الله تعالى الأمور لمقيمي الدين وتولاهم بنصره وعونه"[6].

وقد تبنّى الإمام أبو عبد الرحمن السلمي في كتابه "عيوب النفس ومداواتها" معنى مجاهدة النفس ومنعها من أتباع الهوى للآية "وجاهدوا في الله حق جهاده"[7].

كما وعمد السلمى إلى تفسير الآية: "والذين جاهدوا فينا...". أي: "الذين جاهدوا في طلبنا تحريًا لرضانا لنهدينَّهم سبل الوصول إلينا"[1]، فاعتبر المجاهدة: تصفية القلوب بدوام

---

[1] سورة العنكبوت، الآية: 69.

[2] أبو القاسم، القشيري، **لطائف الإشارات**، ج. 2، 463.

[3] **ن. م.**، 463.

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج.21، 18–19.

[5] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، **تفسير الجلالين**، 530.

[6] **ن.م.**، 445.

[7] أبو عبد الرحمن السلمي، **عيوب النفس ومداواتها**، 72.

المجاهدة وإقامة الطاعات واستعمال الرياضة وشدة الحراسة، ونزوع النفس عن الشهوات والقلب عن الأماني والشبهات وخلو السر عن النظر إلى الخلق والرجوع إلى ربِّ السماوات[2].

وفي تفسيره للآية الكريمة: "وجاهدوا في الله حق جهاده" يفيدُنا السلمى بأنّ المجاهدة ضروب: مجاهدة مع أعداء الله ومجاهدة مع الشيطان وأشد المجاهدة مع النفس والهوى وهو الجهاد في الله، وروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" وهو مجاهدة النفس وحملها على إتباع ما أُمِرَ به، واجتناب ما نُهِيَ عنه"[3].

أما أبو بكر الرازي فيعتبر المجاهدة جهادًا في طلب العلم، ومن يسعَ إلى ذلك يهده الله سبله بمعرفة الأحكام وحقائقها[4].

والحقيقة أن "المجاهدة" في الآية 69 من سورة العنكبوت، هي مجاهدة مطلقة غير مقَيّدة بمفعول "لتدل على كل ما تجب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء النبي"[5] فلكل مذهب مشايخه ومفسروه الذين يرون ما يوائم مذهبهم ويعزّز معتقداتهم.

وطريق مجاهدة النفس شاق طويل، فكلّما كسر السالك المجاهد حدّتها وقتلها بسيف المخالفة، أحياها الله مرَّة أخرى لتعود لمنازعته وتجنح لأمانيها، فيعود إلى مجاهدتها مرة بعد مرة، ويظل المجاهد في هذه المعاناة الطويلة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالجهاد الأكبر، لينال ثواب المجاهدين.

والسالك الذي يظل يطرق باب الحقّ بمجاهداته، يهديه الله إليه ويعرفه سبل الدخول إلى الحضرة الإلهية[6]. وعلى السالك أن يقف من نفسه موقف الحذر، فيحاسبها ويراقبها

---

[1] أبو عبد الرحمن السُّلمى، **حقائق التفسير**، 122.

[2] **ن. م.**، 120–121.

[3] **ن. م.**، 28.

[4] أبو بكر الرازي، **تفسير الرازي**، 394.

[5] انظر: غسّان حمدون، **تفسير من نسمات القرآن**، 425.

[6] انظر: عبد القادر الجيلاني، **الغنية**، ج. 3/ 1321.

متحليًا بالورع والحذر الشديدين كي لا تتسلل في غفلة منه إلى ضلالاتها فيحاسبه الله عليها، فهو يعمل بقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: "حاسبوا أنفسكم قبل أنْ تُحَاسَبُوا عليها"[1]، وهذا ما يرمي إليه الحارث بن أسد المحاسبي من حثه للسالك على ضرورة إصلاح باطنه بالمراقبة والإخلاص، ليحسن ظاهره مع جهد باطنه فيرثه الله تعالى الهداية إليه[2].

5- وقال أبو بكر الطمستاني: "ما الحياة إلاَّ في الموت، أي: ما حياة القلب إلاّ في أمانة النفس"[3].

وقال: "اليقظة من أهل اليقظة لعمارة الآخرة، كما أنَّ الغفلة من أهل الغفلة لعمارة الدُّنيا"[4].

وقال: "لا يمكن الخروج من النفس بالنفس، وإنَّما يُمكن الخروج من النفس بالله تعالى، وذلك بصحة الإرادة لله تعالى"[5].

وكان يقول: "كيف أصنعُ والكون كلُّه عدوٌّ لي؟!"[6].

وقال أيضًا: "النعمة العظمى الخروج من النفس؛ لأنَّ النفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى"[7].

وقال: "ما الحقيقة إلاَّ في موت النفس"[8].

وقال أبو بكر: "كلّ من فرّ من إماتة النفس فقد رجع إلى تأْويل العلم"[9].

---

[1] انظر: ابن المُبارك، **الزهد والرقائق**، 103.

[2] أبو عبد الرحمن السلمي، **طبقات الصوفية**، 60.

[3] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلمى، **طبقات الصوفيّة**، 352–353.

[4] **ن.م.**، 352–353.

[5] **ن.م.**، 352–353.

[6] **ن.م.**، 352–353.

[7] **ن.م.**، 352–353.

[8] **ن.م.**، 352–353.

[9] **ن.م.**، 352–353.

أبو بكر الطمستاني الفارسيّ شيخ صوفي جليل لا يجاريه أحدٌ من أبناء زمانه في حاله وعلوّ منزلته نراه في هذا المقام وقد راوده هاجس الخلود؛ وكذلك كل صوفيّ يهجس بهذا الرجاء ويسعى في الحياة جاهدًا من أجل بلوغ ذلك المرام، بما يحمله من المعاني الإنسانية والسموّ الروحاني والفناء عن المحدود إلى البقاء والخلود[1].

وهذا النعيم المؤبد يحتاج جهدًا وعزمًا صادقين، فثمة وعد ووعيد، كما يقول الكلاباذي: "أجمعوا أن الوعيد المطلق في الكفّار والمنافقين، والوعد المطلق في المؤمنين المحسنين"[2]، أي أنَّ الأبدية حاصلة لا ريب فيها، وما على الإنسان إلاّ أن يسعى جاهدًا كي ينعم فيها وبجمالها المطلق، والطريق إلى تلك النهاية السعيدة يبدأ بالزهد بالدنيا وترويض النفس وقطع علائقها والتعلق بالله وحده، ليحيا القلب بأمل الفناء عن هذه الدنيا والبقاء والخلود في الأخرى (كما لا بد من التخلص من الجهل كي يستوعب قلب المريد الطاهر الفكر الصافي الحكيم)، فالنفس هي العدو اللدود للعبد كونها أعظم حجاب بينه وبين خالقه.

ولتجسيد هذه الفكرة وغرسها في وجدان المريدين يعمد الطمساني إلى المجاز اللغوي وبالتحديد إلى الاستعارة المكنية؛ فيشخّص النفس ويشبّهها بالعدوّ الذي يجب قتله وإماتته حتى ينعم القلب بالحياة ويهنأ بالسعادة، كما وأنّ الخروج من النفس، (وكأن النفس سجن بغيض إذا ما طغت على الإنسان بشهواتها) لا يتم إلا بالإرادة، أي: الصدق والإصرار على العمل، وهذه هي المجاهدة الحقَّة، فالعدوّ السجّان لا يستهان به؛ أنّه الكون كلّه، أي: الدنيا كلهّا بقاذوراتها وشوائبها، فللوصول إلى الحقّ والحقيقة لا بد من الكرّ على النفس ودحرها وإذلالها وعدم الفرّ منها، بل مواجهتها وأبادتها . لاحظ توظيفه للفعل (فَرّ) المستعار من الحقل الدلالي للحرب على سبيل الكناية عن صفة الجبن والتواني في ساحات الوغى. بكل ما يُفيد هذا الأسلوب من تقريب للمعنى وإثارة للخيال والعواطف الحماسية – الجهادية لدى المريدين.

[1] الحكيم الترمذي، **كتاب الرياضة وأدب النفس**، 74.

[2] الكلاباذي، **التعرف لمذهب أهل التصوُّف**، 52.

وقال أبو بكر الطمستانيّ، أيضًا: "النفس كالنار، إذا أطفئ من موضع تأجَّج من موضع، كذلك النفس، إذا هدأت من جانب ثارت من جانب"[1].

وكي يجسد رؤيته للنفس البشرية وقد شرع المريد في مجاهدتها لسلخها عنه كما يُسلخ الجلد عن الشاة يوظّف الشيخ الطمستاني ضربًا من البيان هو التشبيه التمثيلي، فوجه الشبه بين النفس والنار عبارة عن صورة منتزعة من متعدّد توحي بمراوغة النفس وعدم استكانتها بسهولة للمريد المجاهد، فهي كالنار إذا خبت من ناحية استعرت من الأخرى، لذا لا بُدّ من المداومة على المجاهدات والتزام اليقظة والحيطة والحذر، دون الغفلة أو الاغترار[2].

طرق المجاهدة إذن تتلخصّ بقطع العلائق وأهمها قطع مألوف العادات واتّباع العبادات والشرع ومخالفة هوى النفس: "ولا تَتَّبعِ الهوى فيضلّك عن سبيل الله"[3].

6- وقال ابن خفيف[4]: الرياضة كسر النفوس بالخدمة، ومنعها عن الفترة"[5].

7- وقال جعفر الخلدي[6]: "الفتُوَّة احتقار النفس وتعظيم حرمة المسلمين"[7].

[1] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلمى، **طبقات الصوفيّة**، 355؛ وأبو نعيم، الأصفهاني، **حلية الأولياء**، 382/10.

[2] انظر: عبد القادر الجيلاني، **الفتح الربّاني**، 166.

[3] سورة ص، الآية 26. قطع علائق النفس معناه: الأسباب التي علّق على العبد وشغلته بذلك حتى قطعته عن الله تعالى (أبو نصر الطوسي، **اللّمع**، 436).

[4] ابن خفيف: هو أبو عبد محمد بن خفيف كان شيخ مشايخ الصوفية في وقته ت. سنة 371 هـ، وكانت أمّه نيسابورية وتفوّق بعلم الظاهر وعلم الحقائق (راجع سيرته: أبو عبد الرحمن السلمي، **طبقات الصوفيّة**، 345 – 352).

[5] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلمي: **طبقات الصوفيّة**، 346. وأبو نعيم الأصفهاني، **حلية الأولياء**، 386/10.

[6] جعفر الخلدي: جعفر بن محمد بن نصير، أبو محمد الخواص – كان مرجعًا في علوم الصوفيّة وسيرهم، ت. سنة 348هـ (راجع سيرته: أبو عبد الرحمن السلمي، **طبقات الصوفية**، 326 - 330).

[7] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلمي، **طبقات الصوفيّة**، ص. 327. وأبو نعيم الأصفهاني، **حلية الأولياء**، 381/10.

8- وقال السريُّ السقطيّ[1]: من علامة المعرفة بالله، القيام بحقوق الله، وإيثاره على النفس، فيما أمكنت فيه القدرة"[2].

وقال أيضًا : "أقوى القوّة غلبتك نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز، ومن أطاع من فوقه أطاعه من دونه"[3].

9- وقال منصور بن عمَّار[4]: "سلامة النفس في مخالفتها وبلاؤها في متابعتها"[5].

10- سمعت أبا حمزة[6] يقول: "إذا سلمت منك نفسك، فقد أدَّيت حقَّها وإذا سلم منك الخلق، فقد أديت حقوقهم"[7].

11- وقال أبو جعفر بن سنان[8]: "من علم من نفسه ما يعلم ثُمَّ يحبُّها بعد ذلك، فقد أحبَّ ما أبغض الله تعالى"[9].

---

[1] السريُّ السقطي: من مشايخ الطبقة الأولى من الصوفيين أمام البغداديين في وقته تكَلّم في التوحيد وحقائق الأحوال (راجع سيرته: أبو عبد الرحمن السلمي، **طبقات الصوفية**، 51–58).

[2] انظر: أبو عبد الرحمن السلمي، **طبقات الصوفية**، 56.

[3] **ن. م**.، 56، وأبو نعيم الأصفهاني، **حلية الأولياء** 124/10.

[4] منصور بن عمار وكنيته أبو السري، كان من حكماء مشايخ البصرة وأحسنهم موعظة من مشايخ الطبقة الأولى الصوفيّة (راجع سيرته: أبو عبد الرحمن السُّلمي، **طبقات الصوفيّة**، 113–117).

[5] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلمي، **طبقات الصوفيّة**، 117.

[6] من مشايخ الطبقة الثالثة الصوفية عُرف بأبي حمزة البغدادي البزاز، صحب السري السقطي وكان عالمًا بالقراءات، توفي سنة 289هـ (راجع سيرته: أبو عبد الرحمن السلمي، **طبقات الصوفية**، 227-229).

[7] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلمي، **طبقات الصوفيّة**، ص. 229.

[8] وهو أبو جعفر أحمد بن حمدان بن عليّ بن سنان من كبار مشايخ نيسابور وكان من الخائفين الورعين توفي سنة 311 هـ (السُّلمي، **طبقات الصوفية**، 354).

[9] انظر: أبو عبد الرحمن السلمي، **طبقات الصوفية**، 256.

في المواعظ الحكمية الآنفة الذكر لكوكبة من العلماء الصوفيين والزاهدين الذين عاشوا في القرنين الثاني والثالث الهجريين، تبرز الأفعال التي تُشَخِّص النفس البشريَّة على هيئة عدوّ رهيب بغيض يجب كسره وشن حرب لا فترة فيها عليه، واحتقاره وقمعه وإذلاله وتأديبه بكل ما أوتي المرء من قدرة وغَلبة وقوَّة وفتوة[1]، وفي ذلك طاعة لله ونصر للإرادة الإنسانية؛ فلا بُدَّ من مخالفة النفس وترويضها كطريق للسلامة والخلاص وللفرح بالنجاة من الإثم والبلاء.

يرى الحكيم الترمذي أنّ مفهوم رياضة النفس عند الصوفيّة، مشتق في اللّغة من الرضّ وهو الكسر، فلا بُدَّ من فطم النفس عن عاداتها (اللذّة والشهوة والهوى)؛ والحنين إليها[2] ومقابل ذلك يجب إلزامها بتطبيق الطاعات والقربات.

ويتدرج المرء في مجاهدته لنفسه وترويضها من التخلي بادئ ذي بدء عن المعاصي التي تتعلق بجوارحه السبعة: اللسان والأذنان والعينان واليدان والرجلان والبطن والفرج، ثم يحَلِّي هذه الجوارح السبعة بالطاعات المناسبة لكل منها، فيدخل بذلك أنوار الطاعات إلى قلبه فتشفيه وتنوره وتزيل ظلمات المعاصي التي كانت تكدِّرُه. ثم ينتقل المرء في مجاهدته إلى الصفات الباطنة؛ فيبدل صفاته الناقصة كالكبر والغضب والرياء، بصفات كاملة: كالتواضع والإخلاص والحِلمْ[3].

والجسد البشري، كما يعتقد الترمذي الحكيم، يصارع حبّين وفرحين، فرح بالله وحبّ له ومعدنه القلب، وفرح بالنفس وحبّ لها ومعدنه الجوف، وهنا تقع المجاهدة بين النفس وجنودها المسلحين بسهام الهوى والشهوات والأفراح والزينة من جهة، وبين القلب وجنوده المسلحين بسهام العلم والعمل والمعرفة والفهم والكياسة والذهن[4]؛ فمن توانى عن

[1] الفُتُوَّة تعني: طهارة القلب بالفضائل والابتعاد عن الرذائل، وإيثار الغير على شهوات النفس ولذاتها، التي يجب أن يضحي بها العبد على مذبح مجاهدة النفس، انظر: (שרה סבירי, הסופים, עמ' 148-136).

[2] انظر: الحكيم الترمذي، **كتاب الرياضة وأدب النفس**، 104–105.

[3] انظر: **ن.م.**، 42–60.

[4] انظر: **ن.م.**، 148–149.

المجاهدة ذهبت النفس بقلبه وأسرته وصار جوفه بلدة مباحة للعدو، ومن جاهد بقلبه حتى أسر النفس نفيت عنه العلائق والأدناس وبدأ يسارق الله بقلبه حتى تفنى مشيئته بمشيئة الله تعالى فيصفو القلب ويتمّ القربة والمحبة الخالصة بين العبد وخالقه، فأعظم النوافل ترك الشهوات وصفاء القلوب وطهارتها من الرذائل، لأنّ القلوب لا تصل إلى الله إلاّ بالطهارة والصفاء ولا تكفي سائر الطاعات من صلاة وصوم وحج لوحدها لتحقيق ذلك المأرب السّامي[1].

12- وقال إبراهيم بن أدهم لرجل من الطوّاف: "أعلم أنك لن تنال درجة الصالحين، حتى تجوز ست عقبات:

أولاها: أن تغلق باب النعمة، وتفتح باب الشدّة

والثانية: أن تغلق باب العزّ، وتفتح باب الذلّ

والثالثة: أن تغلق باب الراحة، وتفتح باب الجهد

والرابعة: أن تغلق باب النوم، وتفتح باب السهر

والخامسة: أن تغلق باب الغنى، وتفتح باب الفقر

والسادسة: أن تغلق باب الأمل، وتفتح باب الاستعداد للموت"[2].

أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور من علماء الطبقة الصوفية الأولى، ومن أهل خراسان، استيقظ من غفلته وترك طريقته في التزيُّن في الدنيا، وقد انتسب إلى سلالة الملوك، ورجع إلى طريقة الزهد والورع.

الجو الذي تشيعه أقوال ابن الأدهم هذه هو جو استنفار القوى وجمعها استعدادًا للحرب والموت؛ فقد كانت طريقته، كما يظهر من النص السابق، تقوم على العمل والأخذ بالأسباب مع التوكُّل على الله تعالى، وقد اجتهد في قهر نفسه ومجاهدتها وترويضها بالصبر على احتمال مكارهها، كما وجاهد في العبادة، حتى أنّه كان يعمل بيديه في النهار ويسهر

[1] الحكيم الترمذي، **منازل القربة**، 46–48، 80.

[2] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلمي، **طبقات الصوفيّة**، 42.

مصلّيًا قائمًا لله تعالى في الليل. ولقد كان مثالًا في الأثرة لله وسخاء النفس له جلّ شأنه، فأدخل اللهُ في قلبه التّقى والهُدى[1]، كما واشترك مرارًا في غزوات المسلمين ضد البيزنطيين[2].

وفي النص السابق يشير ابن الأدهم إلى أصول رياضة النفس ومجاهدتها عند الصوفيين الكبار، وإلى الأسلحة والذخائر الأساسية المستخدمة في الجهاد الأكبر، وهي: الجوع، الصمت، السهر، والخلوة. وهم يستندون في ذلك إلى ما ورد على لسان سهل التستري: "ما صار الأبدال أبدالًا، إلاَّ بأربع خصال: بإخماص البطون، والسهر والصمت والاعتزال عن الناس"[3]، وإلى قول الجنيد: "ما أخذ التصوُّف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات، لأنَّ التصوُّف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التعزُّف عن الدنيا، كما قال حارث: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري"[4].

13- وقال أبو عمرو الدمشقي[5]:"خواص خصال العارفين أربعة أشياء: السياسة والرياضة والحراسة والرعاية، فالسياسة والرياضة ظاهران والحراسة والرعاية باطنان.

وبالسياسة يصل العبد إلى التطهير، وبالرياضة يصل إلى التحقيق، والسياسة حفظ النفس ومعرفتها، والرياضة مخالفة النفس ومعاداتها، والحراسة معاينة بر الله في الضمائر والرعاية مراعاة حقوق المولى بالسرائر، وميراث السياسة القيام على وفاء العبوديّة، وميراث الرياضة الرضا عند الحكم، وميراث الحراسة الصفوة والمشاهدة وميراث الرعاية المحبَّة والهيبة، ثمّ الوفاء متَّصل بالصفاء والرضا متَّصل بالمحبّة، عَلمه من علمه وجهله من جهله"[6].

---

[1] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلمى، **طبقات الصوفيّة**، 35–42.

[2] انظر: سليمان سليم علم الدين، **التصوُّف الإسلامي**، 286.

[3] انظر: أبو طالب المكي، **قوت القلوب**، 59/1.

[4] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلمي، **طبقات الصوفيّة**، 131.

[5] أبو عمرو الدِّمشقي: من مشايخ الطبقة الصوفيّة الثالثة ومن أجل مشايخ الشام وأعلمهم بعلوم الحقائق وأكثرهم فتوّة، راجع سيرته: أبو عبد الرحمن السُّلمي، **طبقات الصوفيّة**، 215-217.

[6] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلمي، **طبقات الصوفية**، 215. وأبو نعيم الأصفهاني، **حلية الأولياء**، 346/10.

14- وقال إبراهيم[1] ابن أحمد: إنَّ العبد إذا أصبح كان مطالبًا من الله بالطاعة، ومن نفسه بالشهوة ومن الشيطان بالمعصية. لكن الله تعالى وفق به، حيث أمره في ابتداء صباحه بأمره، وبعث إليه مناديًا يناديه، ويندبه إلى أمر الله، وهم المؤذّنون، يؤذّنون ويكبّرون في آذانهم، تكبيرات مكرّرات، يقولون له: الله اكبر، الله اكبر، فيكبر في قلبه أمر سيّده، فيبادر إلى طاعته، ويخالف هوى نفسه وشيطانه، فإن بادر إليه، ألزمه الله بالظفر على نفسه وغلبته لشهوته، وأعانه على عدوّه بقطع الوساوس من قلبه، فإنَّ من بادر إلى بابه ودخل في حرزه صار غالبًا لا مغلوبًا"[2].

وقال، أيضًا: "الفترة – بعد المجاهدة – من فساد الابتداء، والحجب – بعد الكشف – من السكون إلى الأحوال"[3]. وسمع عنه قوله: "نفسك سائرة بك، وقلبك طائر بك؛ فكن مع أسرعهما وصولًا"[4].

15- سمعت أبا العبَّاس بن عطاء[5] يقول: "خلق الله الأنبياء للمشاهدة، لقوله تعالى: "او ألقى السمع وهو شهيد" [ق: 5]. وخلق الأولياء للمجاورة، لقوله (صلى الله عليه وسلم): "عزَّ جارُك". وخلق الصالحين للملازمة، قال الله تعالى: "وألزمهم كلمة التقوى" [الفتح: 48]. وخلق العوام للمجاهدة، قال تعالى: "والذين جاهدوا فينا". [العنكبوت: 69]"[6].

---

[1] هو أبو إسحاق، إبراهيم بن أحمد بن المولد من مشايخ الطبقة الصوفية الرابعة، صحب عبد الله بن الجلاء الدمشقي وإبراهيم بن داود بن القصّار الرقي، وكان من أحسن المشايخ سيرة وأفتاهم (راجع سيرته: أبو عبد الرحمن السُّلمي، **طبقات الصوفيّة**، 309-312.

[2] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلَمي، **طبقات الصوفية**، 310.

[3] انظر: أبو عبد الرحمن السلمي، **طبقات الصوفية**، 312.

[4] **ن.م**.، 312.

[5] هو أبو العبّاس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي من أئمة الطبقة الثالثة الصوفيّة وكان ممن صحبهم الجنيد (راجع سيرته: أبو عبد الرحمن السُّلمى، **طبقات الصوفيّة**، 208–212).

[6] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلمي، **طبقات الصوفية**، 208.

في النصوص الثلاثة السابقة يتفتق الخيال الصوفي الواسع، المبدع والمشحون بالعاطفة الدينية الصادقة عن استعارات مكنيّة، تجسم فكرة مخالفة النفس وتهذيبها وتضفي على النفس طبيعة العداوة التي توحي بها العبارات "الظفر على النفس" و"معاداتها" و"مجاهدتها" وكلها عبارات تستمد دلالاتها من حقول الروع ومجالدة الأعداء فلا بد من بذل كل غال ورخيص لدحرها وإحراز النصر عليها.

فهذه النصوص تجتمع على القيمة الخلقية والدينية "مجاهدة النفس"، كما أسلفنا، وتسهب في حث العبد على نبذ الشهوات والتقرب من الله، مبيّنة خصال العارفين وميراث المجاهدين والتي سبق وعرضنا لها بالشرح والبيان ضمن معالجتنا لما سبقها من نصوص ومواعظ حكمية، أضف إلى ذلك أن النصوص الثلاثة السابقة تفيد بأن السالك المبتدئ لا يصل إلى الغاية والنهاية إلاّ بعد أن يودع نفسه كليَّة ويكون كما يقول أبو نصر السراج الطوسي: "بلا نفس"[1]. ومعنى فلان بلا نفس، أي: "أن لا تظهر عليه أخلاق النفس، لأنَّ من أخلاق النفس الغضب والحدَّة والتكبُّر والشرّ والطمع والحسد"[2]. فمن أهم خصال أهل المجاهدة التواضع ومحاسبة النفس والإقلال من شأنها، وتلك هي الفكرة الرئيسية عند طائفة الملامتية وأهل الفتوّة المتشددين في محاسبة النفس[3] .

وروي عن أبي يزيد البسطامي (من أئمة الطبقة الصوفية الأولى ت. 261 هـ) أنه سأل ربّه حين رآه في المنام: "كيف الطريق إليك؟ قال: اترك نفسَكَ وتعالَ". ودعاها موطن كل شرّ[4].

وفي نص آخر يسبغ أبو يزيد البسطامي صفتين إنسانيتين على النفس من باب الاستعارة المكنيّة، التي تعود بنا بتداعياتها إلى سُوق الأسرى والعبيد والمارقين إلى العقاب وأخذهم بكل شدّة حتى يتوبوا ويطيعوا ذوي الأمر؛ فالنفس تبكي ثم تضحك في حالين مختلفين: "ما زلت

[1] انظر: أبو نصر الطوسي، **اللّمع**، 436.

[2] **ن. م**، 436.

[3] انظر: عبد المنعم الحفني، **الموسوعة الصوفية**، 272–274.

[4] انظر: عبد الرحمن بدوي، **شطحات الصوفيّة**، 124.

أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي، حتى سقتها إليه وهي تضحك"[1]. فكان بكاء النفس إشارة إلى عدم قبولها السوق إلى الله، وضحكها عبَّر عن شوقها إليه بعد مجاهدة ورياضة. فقد شخّص نفسه المتمردة العاصية على هيئة شخص باك ما لبث أن تحول إلى ضاحك بعد أن روّضت نفسه ورضيت.

فمفهوم النفس عند الصوفية مفهوم خاص مستمدّ من الشرع (القرآن والسُنَّة) وهو مقرون بالسوء والشرك والغفلة والشهوة والغضب[2]، وقد طبعت النفس على الهوى والضلال وجبلت على التمنّي وحبّ الشهوات"[3]، ولهذا حذرت الآيات القرآنية من أخطار النفس ومتابعة الهوى:

وما أصابك من سّيّئة فمن نفسك (النساء، 79).

وما أبرّئ نفسي إنَّ النفس لأمّارة بالسوء (يوسف، 53)

إنّ الله لا يُغَيِّر ما بقومٍ حتى يُغَيّروا ما بأنفسهم (الرعد، 11)

وكذلك سوَّلت لي نفسي (طه، 96)

فطوّعت له نفسه قتل أخيه (المائدة، 30).

إن يتّبعون إلاّ الظنّ وما تهوى الأنفس (النجم، 23)

فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم (البقرة، 54)

لاحظ الفعل (اقتلوا) المنسوب للنفس مجازًا في الآية (54) من سورة البقرة، وما يثيره من جو حربيّ وعدائي للنفس وشهواتها. ولا ريب أنه كان لهذا المجاز اللغوي أثره على الأسلوب والصياغة الفنيّة في النصوص الصوفيّة التقشفية التي استعرضناها فأضحى أسلوبًا تصويريًا مجسدًا بتشبيهاته واستعاراته وكتاباته، المستوحاه من ميادين الجهاد

[1] **ن. م.**، 127.

[2] انظر: الحارث المحاسبي، **المسائل في أعمال القلوب**، تحقيق عبد القادر عطا، 148.

[3] يرى أبو طالب المكّي أنّ جبلاّت النفس (أوصافها) أربع: الضعف والبخل والشهوة والجهل ومعاني الربوبيّة (الكبر والعزّ وحب المرح) وأخلاق الشياطين (الخداع والحيلة والحسد) وطباع البهائم (حب الأكل والشرب والنكاح) وخصال العبيد (الخوف والذلة): أبو طالب المكي، **قوت القلوب**، ج.1، 159.

ومقارعة الأعداء، لفكرة مجاهدة النفس ومعانيها السامية وبالتالي محفّزًا للمريدين على الاقتداء بذلك إذا أرادوا القربة من الله تعالى.

زد على ذلك أن النبيّ الكريم (صلى الله عليه وسلم) يعتبر النفس أعدى على صاحبها من إبليس، فقد روي عنه الحديث الشريف: "أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك، نعوذ بالله من شرور أنفسنا"[1].

ويزداد خطر النفس على الإنسان بتحالفها مع جملة أعدائه الذين يتربصون به ليجروه إلى الهلاك: كإبليس وزخرف الدنيا والأهواء؛ فالنفس كلها ظُلمة وعقبة في طريق الزاهدين إلى مواطن النور؛ فلا بدّ من مجاهدتها ومحاربتها وقطع علائقها ومراقبتها وأخذها بكل شديد، حتى نرقى بها من مرتبة النفس الأمّارة إلى ما فوقها من مراتب وهي: اللوّامة، الملهمة، المطمئنة، الراضية، المرضية، الكاملة، فتأمن ويسلس قيادها[2].

ختامًا

لقد رأت عقول أهل الأيمان بالله تعالى، أنَّه عزَّ وجلّ قد طلب منها أن تعرفه، بعد أن عرفته بأدلتها النظريَّة، بطريق لا تصل إليه بالفكر، بل بالذوق والوجدان والرياضات والمجاهدات والخلوات وقطع العلائق والانفراد مع الله تعالى بتفريغ المحل وتقديس القلب عن شوائب الأفكار، فقد عرف أهل الإيمان ما روي في الحديث القدسي عن الله عز وجل:"من أتاني يسعى، أتيته هرولة"[3]، وعرفوا أيضًا الحديث القدُسيّ: "وما تقرّب إليَّ عبدي بشيء أحبّ اليّ ممّا

[1] انظر: الحكيم الترمذي، **كتاب الرياضة وأدب النفس**، 147.

[2] انظر: عبد القادر الجيلاني، **الفتوحات الربَّانية من المآثر والأوراد القادرية**، 34 وما بعدها وعبد القادر الجيلاني، **الغنية** 1220/3. وأبو نعيم الأصفهاني، **حلية الأولياء**، 287/9 – 299. وأبو عبد الرحمن السلمي، **عيوب النفس ومداواتها**، 70-73.

[3] روى أنس رضي الله عنه عن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) فيما يروى عن رَبّه عزَّ وجلّ، قال: "إذا تقرّب العبد إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإذا تقرّب إليّ ذراعًا تقرّبت منه باعًا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة". (البخاري، 6502).

افترضت عليه"[1]، فتوجه العبد المؤمن بكله إلى خالقه وقد عمر قلبه بالإيمان والمحبة لجلاله وحُلّي بذكر الله وتعظيمه، بعد أن أخلي من شوائب الأفكار ورذائل النفس العدوّة بالجهد والمجاهدة التي لا تفتر، والفُتُوَّة والصبر على المعصية وتقوى الله، فأزيل الحجاب بين قلب العبد وخالقه وأفاض الله على عبده من نوره علمًا إلهيًا . فالله تعالى يتقبَّل من المتقين المتواضعين ويغمر قلوبهم بنور الحق، ويشرحها ويفرحها بالظفر المبين؛ فقد جُبلت الأرواح من الأفراح، وهي تعلو دائمًا إلى محل الفرح من المشاهدة، أمّا الأجساد الفانية فترجع إلى كمدها التي خلقت منه[2]، فمن فنى عن حسوسه، بقي بمشاهدة المطلوب، وذلك بقاء الأبد، الذي لا يردّه كون[3]؛ "ألا إنّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتَّقون"[4].

وقال تعالى أيضًا: "وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنة هي المأوى"[5]. فبسمو الروح والأخلاق الإنسانية الإسلامية يقوى المجتمع الإسلامي ويصبح قادرًا على الوقوف في وجه الأعداء المتربصين من الخارج، فالجهاد كلٌّ لا يتجزأ، أهم مركباته وأصعبها هو جهاد النفس، وعنه تصدر أنواع الجهاد الأخرى: جهاد الكفار والمنافقين والمخادعين. والنفس لا تندفع إلى الجهاد المادي إلا بعد أن تستنفد الجهاد الروحاني؛ فتطمئن وتطيع نداء الخير متوسمة الملأ الروحاني الرحب والأزلي، وضائقة بالحبس الجسماني الفاني.

[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقربّ إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل، حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّهُ (البُخاري، 7536).

[2] انظر: أبو عبد الرحمن السُّلمى، **طبقات الصوفيّة**، (سيرة إبراهيم بن المولد) 311.

[3] **ن. م.**، 311؛ ومحيي الدين بن العربي، **الفتوحات المكيّة** المجلد 3، 442–443.

[4] سورة يونس، الآية 62 – 63.

[5] سورة النازعات، الآية 79.

ببليوغرافيا

1. **القرآن الكريم**.
2. أ. جي. بريل. **دائرة المعارف الإسلامية**. تحرير م. ت. هوتسما وآخرون، د.م: د.ن، 1995 – 1997.
3. ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي. **تفسير القرآن العظيم**. ج.3. دمشق: دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
4. أبو موسى، محمد. **التصوير البياني – دراسة تحليلية لمسائل البيان**، ط.2. القاهرة: مكتبة وهبة، 1980.
5. ابن العربي، محيي الدين. **الفتوحات المكيَّة**. المجلد 3. بيروت: دار صادر، د.ت.
6. ابن مبارك، عبد الله المروزي. **الزهد والرقائق**. تحقيق عبد الرحمن الأعظمي. الهند: مجلس أحباء المعارف، 1944.
7. الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله. **حلية الأولياء**. ج. 8-10. بيروت: دار الفكر، د. ت.
8. الألباني، محمد ناصر الدين. **جامع الأحاديث والآثار**. خرجها وحكم عليها الألباني، إعداد أحمد محمد حسنين آل عبد اللطيف، عمّان: المكتبة الإسلامية. 2001-2007.
9. الباقي، عبد الكريم. **دراسات فنية في الأدب العربي**. بيروت: مكتبة لبنان، 1996.
10. بدوي، عبد الرحمن. **شطحات الصوفيّة** (وبضمنه كتاب **النور من كلمات أبي طيفور** المنسوب إلى السهجلي) ط. 3، الكويت: وكالة المطبوعات، 1978.
11. بدوي، عبد الرحمن. **تاريخ التصّوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني**. الكويت: وكالة المطبوعات، 1978.
12. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. **الجامع الكبير**. تحقيق بشّار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998.
13. الجيلاني، عبد القادر. **الغنية لطالبي الحق**. تحقيق عصام فارس الحرستاني. ج. 2. بيروت: دار الجيل، 1999.

14. الجيلاني، عبد القادر. **الفتح الربّاني والفيض الرحماني**. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 2002.

15. الجيلاني، عبد القادر. **ديوان عبد القادر الجيلاني** – مقالة الغوثية. دراسة وتحقيق يوسف زيدان. بيروت: دار الجيل، 1999.

16. الحفني، عبد المنعم. **الموسوعة الصوفيّة**. القاهرة: دار الرشاد، 1992.

17. الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن. **كتاب الرياضة وأدب النفس**. تحقيق أ. ج.، آربري وعلي حسن عبد القادر. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1947.

18. الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن. **منازل القربة**. تحقيق خالد زهري. الدار البيضاء: د.ن، 2002.

19. الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن. **الأمثال**. تحقيق السيّد الجميلي. بيروت: دار ابن زيدون، دمشق: دار أسامة، د.ت.

20. حمدون، غسّان. **تفسير من نسمات القرآن**. ط.3، دمشق: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1986.

21. الخركوشي، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري. **تهذيب الأسرار**. تحقيق بسّام محمد بارود. أبو ظبي-الإمارات المتحدة: المجمع الثقافي، 1999.

22. الرازي، أبو بكر محمد. **تفسير الرازي**. تحقيق محمد رضوان الداية. بيروت-دمشق: دار الفكر، 1990.

23. زيادة، نقولا. **دمشق في عصر المماليك**. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 2002.

24. السامرائي، مهدي صالح. **المجاز في البلاغة العربية**. سوريا: دار الدعوة، 1974.

25. السحمراني، أسعد. **التصوّف منشؤة ومصطلحاته**. بيروت: دار النقاش، 1917.

26. السُّلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين. **كتاب طبقات الصوفية**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998.

27. السُّلَمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين. **عيوب النفس ومداواتها**. تحقيق ايتان كولبرج. القدس: د.ن، 1976.

28. السُّلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين. **حقائق التفسير**. تحقيق سيّد عمران. بيروت: دار الكتب العلمية، 2001.

29. السيّد، شفيع. **التعبير البياني: رؤية بلاغية نقدية**. ط.2، القاهرة: دار الصفا للطباعة، 1982.

30. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. **مسند الشاميين**. تحقيق محمد بن عبد المجيد السلفي. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1989.

31. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. تقديم خليل الميس. تحقيق صدقي جميل العطار. ج. 21. بيروت: دار الفكر، د.ت.

32. الطوسي، أبو نصر السرّاج. **اللّمع**. تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور. القاهرة: دار الكتب الحديثة بمصر ، وبغداد: مكتبة المثنى، 1960.

33. علم الدين، سليمان سليم. **التصوّف الإسلامي**. بيروت: نوفل، 1999.

34. القادري، أبو بكر. **الشيخ عبد القادر الجيلاني ودوره في الدعوة الإسلامية في أنحاء العالمين: الآسيوي والأفريقي**. الدار البيضاء: مطبعة النجاح، 1999.

35. القاسمي، ظافر. **الجهاد في الإسلام**. بيروت: دار العلم للملايين، 1982.

36. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. **الجامع لأحكام القرآن**. ج.13. بيروت: دار الفكر، 1995.

37. القشيري، أبو القاسم عبد الكريم. **الرسالة القشيرية في علم التصوّف**. تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطة جي. بيروت: دار الجيل، 1990.

38. القشيري، أبو القاسم عبد الكريم. **لطائف الإشارات (تفسير القشيري للقرآن الكريم)**. تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. ج.2. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2000.

39. الكلاباذي، أبو بكر محمد بن اسحق. **التعرف لمذهب أهل التصوّف**. تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور. القاهرة: دار الثقافة الدينية، د.ت.

40. المحاسبي، الحارث بن أسد. **المسائل في أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل**. تحقيق عبد القادر أحمد عطا. القاهرة: عالم الكتب، 1969.

41. المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. **القرآن الكريم بالرسم العثماني** وبهامشه **تفسير الجلالين**. تقديم ومراجعة مروان سوار. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

42. مطلوب، أحمد. **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**. ج.2. بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1986.

43. المكّي، أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي. **قوت القلوب**. تحقيق باسل عيون السود. ج. 1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.

44. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. **كتاب الجمعة تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول**. القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، 1988.

45. الويسي، ياسين حسنين علوان. **ابن خلدون ونظريته في التصوّف**. دمشق: د.ن، 2009.

المصادر بالعبرية

1. סבירי, שרה. הסופים – אנתולוגיה. ישראל: מפה הוצאה לאור ואוניברסיטת תל-אביב, ההוצאה לאור، 2008.

المصادر بالانجليزية

1. Nasrollah Pourjavady, Mohammed Soori. "Abu' 'Abd Arrahman As-sulami-Collacted works on Early Sufism, v.3, **كتاب بيان الشريعة والحقيقة** Tenran, 2009: pp. 398-404.